الفصل السادس

- الانتداب البريطانى على فلسطين
- والتآمر البريطانى الصهيونى على تمكين اليهود من الأرض الفلسطينية

obeikandl.com

obeikandl.com

الانتداب البريطانى على فلسطين
بقرار عصبة الأمم

الانتداب البريطانى على فلسطين[1]

عرفنا كيف نال الصهيونيون مطلبهم الأول، وهو الحصول على تعهد رسمى من الحكومة البريطانية، بقى أن نعرف كيف حصلوا على مطلبهم الثانى، وهو جعل بريطانيا هى الدولة المنتدبة على فلسطين ليستطيعوا فى ظلها إنشاء هذا الوطن ومقدمات إنشائه بتسهيل الهجرة وتحضير الجهاز الإدارى كما يقول وايزمان.

وقد ذكرت أن بريطانيا سبق لها أن تعهدت بالاعتراف باستقلال الدول العربية إذا هم قاموا بثورة ضد تركيا، وقد كان العرب فى حاجة للتخلص من نير الترك وعسفهم، وفعلاً انضمت الجيوش العربية إلى صفوف الحلفاء فى الشام، وقد كان للخطة التى وضعها الجيش العربى أثر كبير فى نصر الحلفاء وهزيمة الأتراك وحلفائهم الألمان حتى حدود آسيا الصغرى.

وبينما كان العرب واثقين بالإنجليز، كان الانجليز والفرنسيون يتفقون فيما بينهم على معاهدة سايكس بيكو التى ذكرتها آنفا من ناحية، ثم الإنجليز والصهاينة من ناحية أخرى على إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين.

ولما كان الصهيونيون قد نالوا ذلك التعهد الرسمى بما أسموه تصريح بلفور، فقد بقى أن يفكروا فى الأمنية الثانية وهى وضع فلسطين تحت انتداب دولة صديقة (أى بريطانيا طبعاً).

وكلمة الانتداب فى أساسها بدعة استعمارية، ابتدعتها الدول الكبرى فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، وهو نوع من أنواع تقسيم الأسلاب بين المنتصرين، يخفونه تحت ما يسمونه (وضع سعادة الشعوب وتقدمها وديعة فى يد العالم المتمدين).

---

(١) القضية الفلسطينية ـ المؤلف.

وقد فصل البند الثانى والعشرين من ميثاق عصبة الأمم أغراض الانتداب بما يلى :

(إن المستعمرات والبلدان التى قضت نتائج الحرب الأخيرة ـ الحرب العالمية الأولى ـ بخروجها عن سلطة الدول التى كانت تسيطر عليها فى الماضى والتى تسكنها شعوب لا تزال إلى الآن غير قادرة على الوقوف منعزلة فى معترك الحياة الجديدة، يجب أن يطبق عليها المبدأ القاضى بوضع سعادة شعوبها وتقدمها وديعة مقدسة فى يد العالم المتمدين، ويجب أن تدرج فى هذا العهد الضمانات على حسن القيام بهذه الوديعة ـ والطريقة المثلى بطبيعة هذا المبدأ عمليا هو أن يعهد بالوصاية على هذه الشعوب الى الدول الراقية، التى تمكنها مواردها المالية أو اختباراتها أو موقعها الجغرافى من القيام بهذه المسئولية ـ وتتحقق هذه الوصاية من جامعة الأمم بطريق الانتداب، وباختلاف درجات هذه الشعوب فى التقدم، وفى موضع البلاد الجغرافى وأحوالها العمرانية وما أشبه من الظروف) .

وحيث إن بعض الشعوب الصغيرة التى كانت ضمن السلطنة العثمانية وصلت إلى درجة من الرقى يمكن الاعتراف بها مبدئيا كشعوب مستقلة. على أن تقدم لها المشورة أو المساعدة الادارية من جانب إحدى الدول المنتدبة ريثما يصبح فى استطاعتها الوقوف منفردة بنفسها. ويجب مراعاة رغائب هذه الشعوب فى اختيار الدولة المنتدبة.. ويجب فى جميع الأحوال على كل دولة من الدول المنتدبة أن تقدم تقريرا سنويا إلى مجلس جامعة الأمم عن حالة البلاد الموضوعة فى عهدتها.

والواقع أن وضع نظام الانتداب لم يكن إلا مؤامرة إنجليزية فرنسية للتخلص من تعهدات بريطانيا للدول العربية، ولتحقيق معاهدة سايكس ـ بيكو، ثم لتحقيق إنشاء الوطن القومى لليهود، بل والإعداد لقيام الدولة اليهودية على أرض فلسطين.

ولما كان الانتداب قرين إنشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين أو هو سبيله ووسيلته، فقد نص فى المادة الرابعة من صك الانتداب على ما يأتى :

(يعترف بالجمعية الصهيونية كوكالة صالحة مادامت الدولة المنتدبة ترى أن تأليفها ودستورها يجعلانها صالحة ولائقة لهذا الغرض، ويترتب على الوصاية الصهيونية أن تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة حكومة صاحب الجلاله البريطانية للحصول على معونة جميع اليهود، الذين يبغون المساعدة فى إنشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين) .

رفض العرب للانتداب ووعد بلفور

هذا وقد رفض الملك حسين بن على التوقيع على صك الانتداب، وأرسل الملك فيصل ابن الحسين احتجاجا مطولا إلى عصبة الأمم فى ٢٧ فبراير جاء فيه:

(... وقد أمرنى والدى بتقديم احتجاج رسمى، ورجائى أن لا توافق جامعة الأمم على هذه الانتدابات قبل أن تستشيره، فهو الذى قاد فى أثناء الحرب وشد أزر الحلفاء، وأن لا تنشر صكوك الانتداب رسميا قبل أن نقف على رغائب أهل الولايات التى تشملها المادة ٢٢ من ميثاق الجامعة).

وفى مؤتمر الشرق الذى عقد فى لندن فى مارس ١٩٢١ ألقى مندوب الملك فيصل ابن الحسين بيانا مطولا اعترض فيه على نظام الانتداب أشد الاعتراض.

وقد بذل الملك فيصل جهوداً كبيرة عندما ذهب لتمثيل والده فى مؤتمر الصلح فى السعى لدى المؤتمر فى ضرورة إرسال لجنة دولية الى بلاد الشام لاستفتاء أهلها، وذلك عندما أيقن هو ووالده أن الإنجليز ـ وقد نالوا النصر ـ لن يفوا بتعهداتهم للعرب، وقد نال فى هذه الجهود تأييد الرئيس ويلسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية، الذى حمل أعضاء المؤتمر على إصدار قرار وقع عليه مندوبو الدول الكبرى فى يناير ١٩١٩، وهو يقضى بفصل البلاد العربية عن الدولة العثمانية وباستفتاء أهلها فى تقرير مصيرهم.

اللجنة الأمريكية

وفى شهر مارس ١٩١٩ عين الرئيس ويلسون اللجنة الأمريكية، وطالب بريطانيا وفرنسا بتعيين لجنتيهما لتسافر اللجان الثلاث الى الشام لاستفتاء سكان البلاد ـ وقد أيقنت فرنسا أنها بإرسال اللجنة ستفقد بذلك سيطرتها على سوريا التى كانت فى ذلك الوقت تحتل سواحلها، وتبعتها بريطانيا التى كانت أيضا تحتل فلسطين احتلالا عسكريا عقب النصر على الأتراك، ورغم ذلك أمر الرئيس ويلسون بسفر اللجنة الأمريكية منفردة إلى الشام غير مقيدة ببريطانيا أو فرنسا، وفعلاً قامت اللجنة ووصلت فى منتصف يونيو ١٩١٩ إلى يافا، وأصدرت بياناً عقب وصولها الى الشعب العربى، قالت فيه: (إن الشعب الأمريكى ليس له مطامع سياسية فى أوروبا أو الشرق الأدنى، وهو يفضل على قدر الإمكان تجنب كل ماله

علاقة بالمشاكل الأوروبية والآسيوية والإفريقية، ويرغب بإخلاص فى أن يسود السلام الدائم وانه بهذه الروح يدنو من مشكلات الشرق الأدنى... لقد عين مؤتمر الصلح لجنة دولية لدرس الحالة فى المملكة التركية وعلاقتها بالوصاية، فغاية اللجنة الأمريكية الآن هو الوقوف قدر المستطاع على أحوال السكان والطبقات وعلاقاتهم؛ ليكون الرئيس ويلسون والشعب الأمريكى على بينة من الحقائق فى كل سياسة يدعى اليها فيما يتعلق بالشرق الأدنى سواء كان ذلك فى مؤتمر الصلح أو فى جامعة الأمم).

المؤتمر السورى

فى ذلك الوقت كان المؤتمر السورى مجتمعاً فى دمشق فرفض العرب فى فلسطين الادلاء بأى بيان، وطلبوا من اللجنة الرجوع إلى مؤتمر دمشق الذى يمثلهم جميعا. وفعلاً ذهبت اللجنة إلى دمشق وحصلت على قرارات المؤتمر، وقدجاء فيها:

(إننا نحن الموقعين أدناه إمضاءاتنا وأسمائنا أعضاء المؤتمر السورى المنعقد فى دمشق والمؤلف من المناطق الثلاث الجنوبية (فلسطين) والشرقية (سوريا الداخلية) والغربية (ساحل سوريا) الحائزين على اعتمادات سكان مقاطعاتنا، قد قررنا فى جلستنا المنعقدة فى ٢ يوليو ١٩١٩ وضع هذه اللائحة مبينة رغائب سكان البلاد الذين انتدبونا ورفعها إلى الوفد الأمريكى المحترم من اللجنة الدولية، وهى:

١ ـ أننا نطلب الاستقلال السياسى التام الناجز للبلاد السورية التى تحدها شمالا جبال طوروس وجنوبا رفح فالخط المار من جنوبى الجوف الى جنوبى العقبة الشامية والعقبة الحجازية وشرقا نهر الفرات فالخابور، والخط الممتد شرقى الجوف، وغربا البحر الأبيض المتوسط بدون حماية ولا وصاية.

٢ ـ أننا نطلب أن تكون حكومة هذه البلاد السورية ملكية مدنية نيابية تدار مقاطعتها على طريقة اللامركزية الواسعة وتحفظ فيها حقوق الأقليات، على أن يكون ملك هذه البلاد الأمير فيصل، الذى جاهد فى سبيل تحرير هذه الأمة جهاداً استحق به أن نضع تمام الثقة فى شخصه، وأن نجاهر بالاعتماد التام على سموه.

٣ ـ وحيث إن الشعب العربى الساكن فى البلاد السورية شعب لا يقل رقيا من حيث الفطرة عن سائر الشعوب الراقية، وليس هو فى حالة أحط من حالات شعوب البلقان والصرب

واليونان ورومانيا فى مبدأ استقلالها. فإننا نحتج على المادة ٢٢ الواردة فى عهد جامعة الأمم والقاضية بإدخال بلادنا فى عداد الأمم المتوسطة التى تحتاج إلى دولة منتدبة.

٤ ـ أننا نرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبى من البلاد السورية، أى فلسطين وطنا قوميا لليهود ونرفض هجرتهم إلى أى قسم من بلادنا، لأنهم ليس لهم فيها أدنى حق ولأنهم خطر شديد على شعبنا من حيث الاقتصاديات والقومية والكيان السياسى. أما سكان البلاد الأصليون من إخواننا الموسويين فلهم مالنا وعليهم ما علينا.

توصيات اللجنة الأمريكية

وقد وضعت اللجنة بناء على هذه القرارات تقريرها، الذى لم ينشر إلا بعد سنوات وأهم ما جاء فيه:

ـ (أن الوطن القومى اليهودى يلحق اضراراً جسيمة بحقوق العرب المدنية والدينية... لقد اتضح للجنة بعد سماعها للبيانات الصهيونية أن الحركة الصهيونية ترمى إلى سلب العرب عن طريق شراء أراضيهم بشتى الأشكال.

ـ أن السوريين يشاركون الفلسطينيين فى مقاومتهم للصهيونية.

ـ أن تطبيق البرنامج الصهيونى لا يكون إلا بالقوة والعنف. وأن يكون اللجوء إلى القوة ضرورياً فى بعض الاحيان فلا يجوز على كل حال أن يستخدم لنصرة الباطل على الحق.

ـ توصى اللجنة بتعديل البرنامج الصهيونى من أساسه فى مؤتمر السلام).

وقد كان هذا التقرير بلا شك فى صالح العرب، إلا أن ضغط الصهيونيين والصهيونيين الإنجليز على السياسة الدولية جعلته خاليا من أى تأثير على مجرى الحوادث العالمية. حتى السياسة الأمريكية صاحبة مبدأ حق تقرير المصير لم تعره التفاتاً. وإنما آثرت الأخذ بآراء لجنة دائرة المخابرات الأمريكية، التى ناصرت اليهود فى توصياتها، وأهم ما جاء فى توصيات هذه اللجنة الأخيرة ما يأتى:

(نوصى بأن تنشأ فى فلسطين دولة منفصلة عن الدول المجاورة، وتوضع هذه الدولة تحت الانتداب البريطانى).

(يدعى اليهود الى العودة إلى فلسطين وإلى الإقامة فيها، وأن يضمن لهم مؤتمر السلام تقديم المساعدات اللازمة للنجاح فى مساعيهم على أن لا تضار الحقوق الشخصية والملكية التى يتمتع بها السكان غير اليهود، ونوصى بأن يضمن مؤتمر السلام لليهود أنه مستعد للاعتراف بالدولة اليهودية حالما تشكل هذه الدولة بالفعل. فمن العدل والإنصاف أن تصبح فلسطين دولة يهودية إذا تمكن اليهود بفضل التسهيلات المقدمة لهم لتحقيق هذه الغاية من أن يحولوها إلى دولة يهودية. ففلسطين كانت مهد العنصر اليهودى ومحل سكناه، والعنصر اليهودى ساهم مساهمة جليلة فى تطور الفكر البشرى، وفلسطين هى الأرض الوحيدة التى يمكن لليهود أن يجدوا فيها موطنا خاصا بهم).

(نوصى بأن توضع الأماكن المقدسة والحقوق الدينية التى تتمتع بها سائر الطوائف تحت حماية عصبة الأمم والدولة المنتدبة).

ورغم ما قام به الملك حسين ولأمير فيصل من الاحتاجاجات القوية، وما أبداه سكان البلاد فعلا من المطالب السابق ذكرها. ورغم القرار الموقع عليه من مندوبى الدول العظمى باستفتاء أهل البلاد. ورغم تقرير لجنة التحقيق المقدم إلى مجلس الحلفاء. كل ذلك لم يمنع الحلفاء من استصفاء الأقطار العربية وتقسيمها إلى منطقتى النفوذ والبريطانية السابق الإشارة اليها.

ولما كانت أمريكا قد انسحبت من مؤتمر الصلح فى أوائل سنة ١٩٢٠ فى الوقت الذى كان الرئيس ويلسون يعطف على القضية العربية، فقد اجتمع مجلس الحلفاء المكون من مندوبى فرنسا وبريطانيا وإيطاليا واليابان فى يوم ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٠ وأصدر قراره بتقسيم بلاد الشام والعراق بين فرنسا وإنجلترا فنالت الأولى المنطقة التى تشمل سوريا ولبنان الآن، ونالت بريطانيا العراق وشرق الأردن وفلسطين، وذلك تحت ما سموه الانتداب.

وهكذا صار الانتداب حقيقة واقعة، رغم مناقضته للمبادئ السياسية والاجتماعية.

أما كيف أبلغ ذلك الى العرب فى فلسطين فقد عقد السير بولز الحاكم البريطانى فى القدس اجتماعاً للزعماء الفلسطينيين وألقى عليهم البيان الآتى:

(قرر المجلس الأعلى للحلفاء انتداب دولة لفلسطين، وأن يدمج وعد بلفور بإنشاء وطن قومى لليهود فى معاهدة الصلح مع تركيا. وقد عرض هذا الانتداب على بريطانيا فقبلته وهى تحكم البلاد لخير سكانها وأتلو عليكم وعد بلفور، وأقول لكم إن إدماجه فى صك الانتداب يعنى عدم التعرض للعادات الدينية والاماكن المقدسة وعدم تقييد شىء من الحرية الدينية بشرط المحافظة على النظام والأمن العام. ويسمح للمهاجرين بدخول البلاد على قدر حاجتها إلى النمو والارتقاء، وتسيطر حكومة بريطانيا على المهاجرة. ولا يخرج أصحاب الأملاك الحاليون عن أملاكهم ولا تنزع منهم. ولا تمنح امتيازات اقتصادية لأفراد أو جماعات إذا كان فى منحها ضرر لغيرهم. فالحكم سيكون للحكومة البريطانية، ولا يسمح بحال من الأحوال لأقلية أن تسيطر على الأكثرية من السكان. ومتى حان الوقت لإنشاء شكل من أشكال الحكم النيابى ففى هذه الحالة تعقد الآمال العظيمة على زيادة اليسر لجميع السكان. وقد صدر هذا القرار بعد طول انتظار فيجب إنهاء الخلافات السياسية والاضطرابات وعلى جميع الفلسطينيين الحقيقيين أن يبادروا لخدمة فلسطين وخير الأجيال المقبلة).

وقد احتج الفلسطينيون على قرار مجلس الحلفاء، وطالبوا أن يمنحوا استقلالهم فلم يجدوا أذنا صاغية، واجتمع مجلس عصبة الامم فى ٢٤ يوليه سنة ١٩٢٢ وأقر انتداب بريطانيا على فلسطين.

الجهاد العربى

ومنذ ذلك التاريخ بدأ الجهاد العربى المرير. ولكنه كان مقصورا تقريبا على عرب فلسطين فقط الذين تعرضوا لاعتداء الصهيونيين. وإذا سألنا عن الصهيونيين الذين دخلوا فلسطين فى تلك السنين فسنجد خليطا عجيبا من المتشردين اللصوص، وقطاع الطرق، وشذاذ الآفاق، وسماسرة الشيوعية، وتجار الرقيق الابيض، وباعة المخدرات، أتى بهم الانجليز من جميع الانحاء، وأرادوا أن يكونوا منهم شعبا ودولة.

والواقع أن بريطانيا لم تفعل ذلك حبا فى اليهود، وانما لتستطيع بواسطتهم أن ترسخ قدام الاستعمار فى تلك المنطقة المهمة من الشرق الاوسط، وأن تجعل من الدولة اليهودية شوكة فى ظهر العالم العربى.

وقد أصبح العرب أمام عدوين لدودين : مستعمر محتل، ودخيل ثقيل يشاركهم فى حياتهم ويسلبهم أرضهم.

ولم يكن لدى العرب فى ذلك الوقت وسيلة ناجعة لنيل حقوقهم ولا لإسماع صوتهم للعالم الخارجى ـ وكانت الصحف فى أوروبا وأمريكا تنشر المقالات والآراء الموالية للصهيونية فى الوقت الذى أصبحت فيه فلسطين كأنها فى عزلة عن العالم. على أن العرب لم يكفوا عن الكفاح لحظة واحدة. ولكنه كان داخليا بحتا. فقد عقدت مؤتمرات عربية وأرسلت احتجاجات كثيرة تنادى ببطلان وعد بلفور وتطالب بالاستقلال.

وقد شعر العرب بحاجتهم الى التكاتف والاتحاد فألفوا جمعيات كثيرة عربية فلسطينية، واسلامية مسيحية فى جميع انحاء البلاد.

وعلى الرغم من ذلك الظلم البين، وعلى الرغم من الجهود التى كان يبذلها العرب، كان اليهود من ناحيتهم يسعون لدى فرنسا ولدى عصبة الامم لتوسيع الحدود الفلسطينية، وأخذ جزء من سوريا ولبنان لضمه إلى الدولة الفلسطينية، لإمكان استيعاب اليهود المنتشرين فى جميع انحاء العالم، ولكن خاب مسعاهم فقد تمسكت فرنسا بنصوص معاهدة سايكس بيكو المبين بها حدود المنطقتين.

ولم يستطيع الشعب العربى أمام تلك الظروف أن يقف مكتوف الايدى مكتفيا بكفاحه الداخلى، فقد اجتمع المؤتمر العربى الفلسطينى على أثر الاضطربات التى وقعت فى يافا فى مايو سنة ١٩٢١، وقرر إرسال وفد عربى إلى لندن للتفاوض مع البريطانيين، وسافر الوفد برياسة موسى كاظم الحسينى وانضم إلى الاتحاد السورى بجنيف وكونوا المؤتمر العربى الفلسطينى فى ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٢، وقد أرسل المؤتمر كتاباً إلى المستر تشرشل وزير المستعمرات حدد فيه العرب مطالبهم بحزم وشدة ووضوح، وقد جاء فيه:

(مادام وضع فلسطين على ما هو عليه اليوم من استئثار الحكومة البريطانية بالسلطة بالاعتماد على قواها المحتلة. واستعمالها تلك السلطة فى إرغام أهل البلاد على قبول هجرة واسعة النطاق من اليهود الغرباء الذين ينتمى أكثرهم إلى عناصر بلشفية ثورية فلن يقبل أهل فلسطين أقل من دستور يمكنهم من الإشراف على شئونهم الخاصة إشرافا تاما.

ولو أعادت الحكومة البريطانية النظر فى سياستها الحاضرة فى فلسطين ووضعت حدا لنظام الحكم الذى تسيطر عليه الصهيونية وأوقفت هجرة الغرباء إلى فلسطين تماما. ومنحت سلطات تنفيذية وتشريعية إلى أهاليها الذين بحكم الحق والخبرة خير من يميز بين ما هو خير

وما هو شر لبلادهم. لكان فى الإمكان البحث فى نصوص الدستور فى جو آخر. فان العرب لو وافقوا اليوم على دستور يقصر عن منحهم حق إدارة شئونهم الخاصة بصورة مستكملة. لكانوا بفعلهم هذا يوافقون على صك قد يتخذ ـ بل يرجح أنه سيتخذ ـ كأداة لخنق كيانهم القومى تحت سيل جارف من الهجرة الأجنبية).

الاصطدام بين العرب واليهود

ولما رأى العرب أن الدبلوماسية قد فشلت فى إعطائهم حقوقهم، فقد ابتدأوا من جديد يحلون قضيتهم داخل البلاد. وكان لا بد من قيام الاضطرابات بينهم وبين اليهود. وكان أول صدام قام بين اليهود والعرب فى شهر ابريل سنة ١٩٢٠ حينما قام العرب بمظاهرة كبيرة فى القدس، وأخذوا يهتفون بالوحدة السورية وسقوط الانتداب والصهيونية، وقد سار الزعماء الفلسطينيون فى مقدمة المتظاهرين، وألقوا بينهم الخطب الحماسية التى كانت تلهب شعور العرب جميعا. وقد قامت مظاهرة يهودية وتصددت لهم فاشتبك الفريقان وجرح كثير من اليهود، ولولا تدخل جيش الاحتلال لأفنى العرب عدداً كبيراً منهم.

وقد ألف الانجليز لجنة للتحقيق فى هذا الحادث برياسة الجنرال بالن عرفت بلجنة بالن. وقد حكمت هذه اللجنة بالسجن على كثير من العرب منهم الحاج أمين الحسينى والسيد عارف وقد حكم عليهما بالسجن عشر سنوات. ولكنهما استطاعا الفرار إلى شرق الأردن. وقد حكم أيضا بالسجن على زعيم جمعية الهجاناه الإرهابية خمسة عشر سنة. ولكن ما لبث أن جاءه العفو من الحكومة البريطانية رأسا من لندن.

وعقب هذا الحادث عينت الحكومة البريطانية السير هربرت صموئيل الصهيونى البريطانى حاكما عاما ليضمنوا بذلك سلامة اليهود وقد كان أول عمل له هو العفو عن جميع المحكوم عليهم فى حوادث القدس.

وقد قدمت لجنة بالن المشار اليها تقريرا مفصلا عن رأيها ولكنه بقى سرا. إلا أن رأى السير بولز الحاكم السابق يبدو فى مذكرة أرسلها إلى رئاسة الجيش البريطانى، شرح فيها المطامع الصهيونية وضررها على العرب واليهود أنفسهم. وقد كانت سببا فى عزله عن منصبه. وتعيين زعيم الصهيونيين ونصيرهم (صموئيل) مكانه. وقد ختم السير بولز مذكرته بقوله:

(لذلك فإنى أوصى فى سبيل السلام وسبيل التقدم وسبيل الصهيونيين أنفسهم أن تلغى اللجنة الصهيونية فى فلسطين).

وقد كان حادث القدس بادئة الاضطرابات الداخلية المستمرة فى فلسطين خصوصا وأن اليهود كانوا يدخلون فلسطين كالسيل الجارف.

أما فى سوريا فقد عاد الأمير فيصل من رحلته إلى أوروبا فى يناير سنة ١٩٢٠ بعد أن فشل فى الاتفاق مع الانجليز والفرنسيين على حل القضية العربية، وقد عقد فى دمشق المؤتمر العربى فى مارس ١٩٢٠، وفيه نادى الزعماء بالأمير فيصل ملكا على البلاد السورية ونادى باستقلال البلاد العربية (سوريا ولبنان وفلسطين) وأرسل قراراته إلى الحلفاء. وطالب الملك فيصل إنجلترا وفرنسا بالجلاء عن بلاده، ولكنهما أجابتاه بعدم الاعتراف بهذه القرارات وطلبا منه أن يفاوضهما من جديد.

الدستور الفلسطينى

وفى شهر أغسطس سنة ١٩٢٢ وضعت الحكومة البريطانية الدستور الفلسطينى وهو لايختلف فى شىء عن طريقة حكم المستعمرات. وقد رفضه العرب من أساسه. وعقد لذلك المؤتمر العربى الفلسطينى فى أول سبتمبر سنة ١٩٢٢ وقرر مقاطعة انتخابات المجلس الاستشارى، وقد أصدر المؤتمر العربى البيان الآتى:

(قرر المؤتمر العربى الفلسطينى المنعقد فى ٣ سبتمبر ١٩٢٢ رفض الدستور الجديد الفلسطينى بمقاطعة الانتخابات المقبلة للمجلس التشريعى، لأنه وجد بعد البحث الدقيق أن الاشتراك فى تلك الانتخابات إنما هو قبول بالانتداب وبتصريح بلفور الذى يقضى بجعل البلاد المقدسة وطنا قوميا لليهود. وقد رفض الوفد العربى الفلسطينى فى لندن بلسان الأمة ذلك الدستور لأنه وجد فيه مخالفة أساسية لمطالب الأمة وأمانيها وفيه غبن فاحش لها ولمصالحها).

وقد اضطرت الحكومة البريطانيى إلى تعيين أعضاء المجلس وبعضهم من العرب، إلا أن العرب انسحبوا من أول جلسة عقدها، وبذلك انحل المجلس وانهار مشروع الدستور من أساسه.

الحكم البريطانى والإدارة المدنية

وسارت فلسطين بعد ذلك محكومة حكما بريطانيا مباشرا، وفى يد حاكم عام بريطانى يتصرف كما يشاء.

وقد قام العرب بجهاد طويل حتى سنة ١٩٢٩، ولكنهم فشلوا فى جميع مفاوضاتهم مع الإنجليز. وقد اتسعت شقة الخلاف بين العرب والبريطانيين حينما أصدر تشرشل كتابه الأبيض وفيه بين (أنه يؤسس فى فلسطين وطن قومى لليهود أولا، وتراعى مصالح السكان غير اليهود ثانيا) وقد حاولت الحكومة البريطانية من جانبها حمل العرب على الاعتراف بوعد بلفور ولكن جهودهم ذهبت سدى. فقد تمسكوا بحقهم كاملا، وأبوا إلا الجهاد الطويل فى سبيل تحقيقه.

ولما كان العرب لا دخل لهم فى إدارة فلسطين. فقد استطاع الزعيم الفلسطينى أمين الحسينى أن يؤلف المجلس الإسلامى الأعلى فى سنة ١٩٢١ وغرض هذا المجلس الرسمى هو إدارة الأوقاف الإسلامية. ولكن أمين الحسينى بفضل ذكائه وشخصيته وجهاده الطويل فى سبيل تحقيق أهداف البلاد العالية، استطاع أن يجعل من هذا المجلس أداة قوية لمحاربة الصهيونية من جانب والاستعمار من جانب آخر. وقد التف حوله جميع الفلسطينيين صغيرهم وكبيرهم وكونوا جبهة قوية غرضها الأول هو القضاء على العدوين اللدودين.

بدء الثورات على نطاق واسع

لم تأت سنة ١٩٢٩ حتى ابتدأت الاضطرابات على نطاق واسع فى جميع مدن فلسطين، وقد ضاق العرب ذرعا باستمرار الانجليز فى تطبيق البرنامج الصهيونى على أوسع نطاق. فهجرة شرعية وغير شرعية وامتلاك للأراضى واعتداء ظالم على نفوس العرب الأبرياء إذا ما أرادوا الدفاع عن حقوقهم.

وقد رأت الحكومة البريطانية أن خير وسيلة لتخدير أعصاب العرب للمرواغة والتسويف هو إرسال لجنة تحقيق كلما قامت ثائرة العرب ضد المغتصبين.

ولو أردنا إحصاء الثورات التى قام بها العرب لاستخلاص حقوقهم لما وجدنا شعبا ناضل وكافح كالشعب الفلسطينى وما وجدنا أسرة إلا وفقدت عائلا لها أو عزيزا عليها. ولو

بحثنا عما نال الاهالى من الخسائر المادية لم نجد أسرة إلا وفقدت أرضا أو بيتا أو ملكا لها. وربما سأل سائل كيف استطاع اليهود امتلاك الأراضى وهى ملك للعرب..؟ والجواب على ذلك صريح.

فقد نصت المادة الثانية من صك الانتداب على ما يأتى:

(تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن وضع البلاد فى أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومى لليهود).

فكان على الإنجليز طبعاً لتنفيذ هذا النص أن يضعوا العرب فى أسوأ الأحوال السياسية والإدارية والاقتصادية. فكانت تهيئ الذرائع المختلفة لإجلاء العرب عن أراضيهم وإسكان اليهود مكانهم. كما حصل فى بعض القرى مثل وادى الحوارث وقرية شطه وغيرهما. من اعتداء الإنجليز ببنادقهم وحرابهم على الأهالى وتشتيتهم وإسكان اليهود فى تلك القرى، وقد خرج الأهالى فعلا وتفرقوا فى البلاد بلا مأوى بعد أن قتل كثير منهم. ومنها إثقال الحكومة كاهل الفلاحين بالضرائب الفادحة ثم مساعدة اليهود المجاورين للعرب للاعتداء على حقوقهم وإجبارهم على بيع الأراضى لهم. وهناك أسباب كثيرة منها ما نص عليه الانتداب من وضع الأهالى فى حالة اقتصادية تسمح بإنشاء الوطن القومى. فكان لا بد أن تكون هذه الحالة الاقتصادية هى أسوأ حالة تكره الفلاحين على الخروج عن أراضيهم.

المؤتمر الإسلامى العام

لم يأت عام ١٩٣١ حتى كانت الحكومة البريطانية قد أرسلت خمساً من لجان التحقيق إلى فلسطين وقد وضعت كلها تقارير أغلبها كان فى صالح العرب، وكان لا بد من إهمال كل تقرير طبعاً. والوعد بإرسال لجنة أخرى لتضع تقريراً جديداً ـ وهكذا، وكانت آخر لجنة أرسلتها الحكومة البريطانية فى ذلك العام هى (لجنة فرنش)، وكانت هذه اللجنة تقوم بوضع دراسات وإحصائيات فى صالح العرب، ورأت الحكومة أن فى ذلك صرفا لنشاط السكان إلا أن الزعماء وفى مقدمتهم أمين الحسينى كانوا يعدون العدة لعقد مؤتمر إسلامى عام فى القدس. وقد دعى إلى هذا المؤتمر جميع الشعوب العربية والإسلامية وفى مقدمتها الدول العربية والهند والصين وروسيا والقوقاز وتركيا ويوغسلافيا وإيران، وقد افتتح المؤتمر أولى

جلساته بالمسجد الأقصى ليلة الإسراء الموافق ٧ ديسمبر سنة ١٩٣١ وقد أصدر بعد عقد حوالى العشرين جلسة قراراته المهمة وهى تؤيد مطالبهم الأولى، وجاء ضمن القرارات:

١ ـ مقاطعة جميع البضائع اليهودية فى جميع أنحاء العالم الإسلامى.

٢ ـ تأسيس شركة زراعية كبرى فى فلسطين يشترك فيها العالم الإسلامى، تكون مهمتها إنقاذ أراضى العرب فى فلسطين، والحيلولة دون خروجهم من حوزتهم.

٣ ـ دعوة العالم الإسلامى لشراء الأراضى المعرضة للضياع من أيدى العرب.

وقام الى جانب المؤتمر الإسلامى مؤتمر الشباب العربى، الذى عقد فى ديسمبر سنة ١٩٣٢، وأصدر ميثاقاً جاء فيه:

١ ـ إن البلاد العربية وحدة تامة الأجزاء وكل ما طرأ عليها من أنواع التجزئة فإن الأمة لاتقره ولا تعترف به.

٢ ـ توجيه الجهود فى كل قطر من الأقطار العربية إلى وجهة واحدة هى استقلالها التام كاملة موحدة، ومقاومة كل فكرة ترمى إلى الاقتصار على العمل للسياسة المحلية الأقليمية.

لما كان الإستعمار بجميع أشكاله وصيغه يتنافى كل التنافى مع كرامة الأمة العربية وغايتها العظمى، فإن الأمة العربية ترفضه وتقاومه بكل قواها).

وقد نشأت فى ذلك الوقت حركات كثيرة للاحزاب المختلفة، ولكن هدفها كان واحداً.

الملك عبدالله بن الحسين قائد الجيوش العربية لتحرير فلسطين (١٩٤٨) خان قضية العرب مرتين:
الأولى: عندما سلم مدينتى اللد والرملة وغيرهما من الأراضى الفلسطينية إلى اليهود دون حرب.
الثانية: عندما أعلن نفسه ملكاً على ماتبقى من الأراضى الفلسطينية..